جهود الشيخ النديم في خدمة الفهارس

د.رشيد كُهُوس

أستاذ بكلية أصول الدين بتطوان جامعة القرويين المغرب

رئيس مجموعة البحث في السنن الإلهية–المغرب

Shaikh Nadeem's Efforts in servicing the Indexes

PhD. Rasheed Kuhoos

Senior in Religion Fundamentals College in Tatwan .Al Qaraween University – Morocco

Chief staff of Divine Rules search group – Morocco

1- (AlFaharast) (The Index) book by Al Shaikh Al Nadeem considers one of the most trusted books and the oldest that brought to us the image of that huge knowledge rise that Islam Nation was witnessed specially in the 4th century of (Hijrah) , the century of scientific rise , so this book considers as a distinguished document , it knows through this document the aspects of the cultural advance and the cultures meeting in the frame of Islamic and Arabic civilization and the social , and political events that effected in the scientists and their sciences so it will be useful for the searcher in knowing much about the scientist rising, sayings, doings and his beliefs , that it cannot dispense as a source of an inheritance sources

2- The use of the word (Index) refers to the 2nd century of Hujrah, (Nadeem) was transferring from (Jabir Bin Hayan) index (Died 199 Hujrah) and Al Razi Book index (Died 250 Hujrah) and he used it as the (Kashaf) (The Table) also .

3- The book classified in the field of indexes , proof, programs, Sheikdoms, and dictionaries and those books, and they are the books that concern in registering the names of specifications and their addresses. the origin of the word (Fahrast) is Persian, which it means the ,group of books by numbers

4- in that work (Nadeem) put his hand on afirst work (Biographic) in Arabic in asubjective unit which specialized in books dividing. so he was the typical pioneer for biographers and searchers to refer to this book.

but although he faced critics ,but this book is not out of it's usefulness in general and privately . and it is a general source in it's index and a pioneer in it's field and the first author in the history

Les efforts d'Al Cheikh Al Nadim en service de la bibliophilie

D. Rashid Kahoss : Professeur dans la Faculté de la théologie islamique, Tatouan, l'université d'Al Qaraween, Maroc…
Chef du groupe de recherche dans les lois divines – Maroc

1. Le livre (La bibliographie) d'Al Cheikh Al-Nadim est considéré le plus sûr et le plus ancient parmi les livres , qui nous emporte l'image de cette énorme renaissance cognitive, attestée notamment par la nation islamique, en particulier au quatrième siècle AH, une siècle de la renaissance islamique, il est donc un document distinct, défini qu'on peut à travers lequel connaître la prospérité culturelle et la rencontre des cultures dans le cadre de la civilisation arabo-islamique et les événements tous ensembles sociaux et politiques, qui a influence sur les scientifiques dans leurs methods scientiphiques, ce qui profite au chercheur d'en savoir beaucoup sur la genèse du savant, ses paroles et ses croyances, qu'on n'en peut être à l'abri , comme l'une des sources traditionnelles.
2. L'utilisation du mot (index) revient du deuxième siècle A.N, c'est que Al Nadim a transféré de la bibliographie de Jabir Ibn Hayyan (D. 199 AH), et celle d'Al Razi (D. 250 AH), Al Nadim l'a utilize aussi dans le sens (Al Kashaf) l'explorateur.
3. Le livre tombe dans le domaine des livres de la bibliographie de la preuve, des programmes, des ulmas (checkhs) et des dictionnaires, qui sont des livres qui traitent de l'enregistrement des noms et titres des œuvres et d'origine de ce mot est (Index) l'origine persane, qui signifie : l'ensemble de nombre de livres.
4. Al Nadim par ce travail a posé sa main sur le premier travail (bibliographique) dans la langue arabe dans une unité objective, manefestée par la scission du livre, et qui devenait un modèle éclatant et une référence signifiante pour les spécialists de la bibliophilie et les chercheurs.
5. Mais malgré la critique qui l'ont montré sur lui, ce livre ne pert jamais son intérêt public et particulier, et de toute façon une source essentielle et un pionnier , et le premier auteur à travers l'histoire de l'héritage arabe dans son domaine scientiphique .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل العلم مفتاح الجنة، وخص بعض أولي العلم بمزايا المنة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد كاشف الظلمة والغمة، وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى ومصابيح الدجى.

وبعد؛

فلقد شمرّ جِلَّة من علماء الأمة عن سواعدهم منذ قرون خلت إلى يومنا هذا لخدمة العلوم الإسلامية، وبذلوا كل جهودهم في ذلك، وحرصوا على ظهور ثمراتها اليانعة في مصنفاتهم؛ فتعددت طرائق تأليفهم، ووسموا العهود التي عاشوا فيها بما ألفوه من درر غالية وأسفار جليلة.

ولقد اخترت لهذه الدراسة موضوع الشيخ النديم وكتابه الفهرست. هذا الكتاب الذي يندرج في علم الفهارس والأثبات، وهو سِفر فريد وعِلْقٌ نَفِيسٌ، من أجود الذخائر التي وصلت إلينا من المؤلفات الفريدة في علم الفهارس، جادت بها قريحة أحد الأئمة الأعلام من بلاد العراق في القرن الرابع الهجري. وهو كتاب يستحق العناية، وقمين بكل جهد يبذل في دراسته.

هذا، ومياسم نفاسة هذا الكتاب شتى، منها ما امتاز به من حسن التوصيف وجودة الترصيف، ومنها أنه من أوائل ما ألف في علم الفهارس، ومنها أنه حفظ لنا جملة من المصنفات النفيسة ولولاه لظلت منسية مطوية.

وسأتناول هذه الدراسة من خلال مبحثين رئيسين:

المبحث الأول: الشيخ النديم: التعريف والإشعاع.

المبحث الثاني: جهود الشيخ النديم في خدمة الفهارس من خلال كتابه (الفِهْرِست).

المبحث الأول

الشيخ النديم: التعريف والإشعاع

هو أبو الفرج محمد بن إسحاق النّديم، الوراق، البغدادي، عالم، أديب، مشارك في أنواع من العلوم [١]، لقب بالنديم لأنه كان إخباريًّا أديبًا، أو ربما كان نديما لبعض الوقت لأحد كبار الدولة في القرن الرابع الهجري.

اشتَهر (بابن النديم) فتكاد تُجمِع المصادر التي ترجَمت له على أنه المعروف (بابن النديم)، إلا أن محقِّق طبعة "الفهرست" في طهران "رضا تجدد" نبَّه إلى أنه هو "النديم" لا "ابن النديم"، وصوّر الصفحة الأولى من مخطوطة نفيسة في تستربيتي، جاء اسم الكتاب فيها "الفهرست للنديم"، وعلى هامِشها من اليمين، بخط المؤرِّخ "أحمد بن علي المقريزي" ما نَصُّه: "مؤلِّف هذا الكتاب أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق بن محمد إسحاق الورّاق، المعروف بالنديم"[٢].

ونجد أيضًا في أكثر من موضِع من فهرسته يتردَّد ذِكر اسمه المعروف بـــ"النديم".

أما حياته فلا نعلَم عن حياته إلا النزر اليسير، ولا نعلم لمولده تاريخًا، إلا أنه ولِد ببغداد في الربع الأوّل من القرن الرابع الهجري، وكانت الوراقة مهنة أبيه، فاحترَف حِرفة أبيه، وقد ساعَد أباه في نسْخ الكتب وبيعها في بغداد.

أما عن آثاره العلمية فذكر له المترجِمون: الفهرست، وكتاب التشبيهات، والكتاب الثاني لا نعلم عنه شيئًا[٣]. وذكر هو كتابا ثالثا في ترجمته لابن أبي داود

---

(١) ترجَمته في: لسان الميزان؛ لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ٧٢/٥، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، ١٧/١٨، ووفَيات الأعيان؛ لابن خلكان، ٧٢/٥، تاريخ الأدب العربي؛ لبروكلمان، ٧٢/٣، الأعلام الزِّركلي، دار العلم للملايين، ٢٩/٦. ورضا كحالة في معجم المؤلفين، ٤١/٩.

(٢) الأعلام، للزركلي، ٢٩/٦.

(٣) الأعلام، الزركلي، ٢٩/٦.

قال: "وقد ذكرت حاله في كتاب المثالب"[١]، وقال عن كتابه التشبيهات: "قد استقضيت هذا المعنى وغيره مما يجانسه في مقالة الكتابة وأدواتها من الكتاب الذي ألفته في الأوصاف والتشبيهات[٢].

توفي –رحمه الله– سنة ٤٣٨ هـ/١٠٤٧م[٣]. وفي تحقيق الدكتور أيمن فؤاد ذكر أن بعض المحققين جعلوا وفاته: سنة ٣٨٠هـ لعشر بقين من شعبان. ومولده بين ٣١٥-٣٢٠هـ[٤].

أما عقيدته: فتكاد تُجمِع المصادر والمراجع أن النديم كان شيعيًّا مُعتزليًّا، وكان يُسمِّي أهل السُّنة "الحشوية"، ويسمي الأشاعرة المجبرة[٥]، ويُسمِّي كل من لم يكن مُتشَيِّعًا "عاميًّا"، ويُثني على علماء الشيعة[٦].

أما ثقافته، ومدى تأثيرهما في كتابه الفهرست:

نستطيع أن نقول أن النديم كان على مستوى من الثقافة العالية، والمستوى الراقي، فقد أتم النديم حفظ القرآن الكريم كله عندما بلغ العاشرة من العمر مما هيأه لتعلم علوم أكثر عمقاً؛ مثل: علوم اللغة والبلاغة وتفسير القرآن والحديث وعلم التجويد والأدب. فقد عاش في القرن الرابع الهجري قرن النهضة العلمية، ودرس على يد علماء من نوابغ عصره، ويأتي على رأسهم أبو علي إسماعيل الصَّفار الذي أجازه بالرواية عنه وهو عالم وحجة في الحديث النبوي، وأبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني، وأبو إسحاق بن سعيد السِّيرافي الذي أخذ عنه علوم الشريعة والفقه، وأبو عبد الله المَرْزُباني الذي كان حجة في التاريخ والأخبار، وأبو أحمد الحسن بن إسحاق بن الكربيني الذي كان عالماً في الطبيعيات والإلهيات، ويونس

(١) الفهرست (تح: أيمن)، ٥٨٩/١.

(٢) الفهرست (ت: أيمن)، ٢٩/١.

(٣) الأعلام الزِّركلي، ٢٩/٦.

(٤) مقدمة تحقيق الفهرست، ١٣/١.

(٥) المجبرة هي فرقة تقول: إن الإنسان مجبر في أعماله لا اختيار له. وهم غلاة الجهمية.

(٦) الأعلام، لخير الدين الزركلي، ٢٩/٦.

القاضي الذي كان عالماً في الرياضيات وله فيها كتب مترجمة، وأبو الحسن محمد بن يوسف النَّاقط الذي كان حجة في اليونانيات، وأبو الحسن هارون بن يحيى المنجم وغيرهم(١).

المبحث الثاني

جهود الشيخ النديم في خدمة الفهارس من خلال كتابه (الفِهْرِست)

يعد كتاب "الفهرست" للشيخ النديم من أَوثق الكتب وأقدَمها التي تحمِل إلينا صورةَ تلك النّهضةِ المعرفية الضخمة التي شهِدتها الأمة العربية الإسلامية، خاصّة في القرن الرابع الهجري.

فكان كتاب النديم –رحمه الله– واحدًا من الكتب التي تحمِل خارِطة محصول العقل العربي من العِلم والمعرفة حتى وقته.

أ–عُنوان الكتاب:

كتاب الفهرست يندرج في مجال كتب الفهارس والأثبات والبرامج والمشيخات والمعاجم، وهي الكتب التي تعنى بتسجيل أسماء المصنفات وعناوينها، سواء بطريقة موضوعية نوعية أو بطريقة حصرية على حروف الهجاء. وقد شاع استعمال كلمة الفِهرس، والبرنامج عند المَغاربة وأهل الأندلس.

وأصلُ الكلمة –"فِهْرِست"–، فارسية، بمعنى: جملة العدد للكتب، وقد عُرِّبت بحذف التاء، وأصبحت "فِهْرِس"، وخضَعت للاشتقاق، فنقول فَهْرَس يُفَهْرِسُ فَهْرَسَةً، وجُمِعت على فهارس(٢).

وفي معناها "هو الكتاب الذي تُجمَع فيه أسماء الكتب مرتّبة بنظام معيِّن، ولَحْق يوضَع في أول الكتاب أو في آخره يذكر فيه ما اشتَمل عليه الكتاب من الموضوعات والأعلام، أو الفصول والأبواب مرتّبة بنظام معيَّن(٣).

---

(١) الفهرست، لمحمد بن إسحاق النديم، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ١٤/١.

(٢) أدوات تحقيق النصوص: المصادر العامة، عصام الشنطي، ص٦٢.

(٣) المعجم الوسيط، صدَر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص٧٠٤.

ويرجِع استخدام كلمة "الفهرست" إلى القرن الثاني الهجري، فكان النديم ينقل عن فِهرست جابر بن حيّان(ت١٩٩هـ)، و"فهرست كتب الرازي" أبو بكر محمد بن زكريا (ت٢٥٠هـ)، واستخْدَمها النديم بمعنى الكشّاف أيضًا[١].

ب- أسماء الفهرست للنديم:

لقد كان للفهرست أسماء مختلفة، أطلقها عليه كثير من العلماء على مدى القرون التالية، مثل ياقوت الحموي الذي ذكره في معجمه على أنه فهرست الكتب، وحاجي خليفة الذي ذكره باسم فهرس العلوم[٢]، وإسماعيل البغدادي الذي سماه فوز العلوم أو كتاب الفهرسة في الأخبار والتراجم وأنواع الفنون[٣]، وابن النجار البغدادي وابن حجر العسقلاني أطلقا عليه فهرست العلماء[٤].

ت-فكرة الفهرست:

لقد وضّح وبيّن لنا النديم نفسه فكرة كتابه؛ حيث قال في مُستهَل الكتاب:

"هذا فهرست كتُبِ جميع الأمم، من العرب والعَجم، الموجود منها بلغة العرب وقَلمِها في أصناف العلوم، وأخبار مصنِّفيها، وطبقات مؤلِّفيها، وأنسابهم، وتاريخ مواليدهم وأعمارهم، وأوقات وفاتهم، وأماكن بُلدانهم، ومناقِبهم ومَثالِبهم، منذ ابتداء كلِّ عِلم اختُرِع إلى عصرنا هذا، وهو سَنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة"[٥].

كانت فكرة النديم في تأليفه "الفهرست" نابعة عما وجده في عصره من نشاط فكري هائل كبير، وهو عصر التأليف والترجمة وانتشار صناعة الورق، فأخذ بتجميع قوائم بأسماء الكتب والمؤلفين، في عمل كامل لكل الإنتاج الفكري بداية من تأليف الكتب حتى عصره، فألف كتابه : "الفهرست".

---

(١) راجع فهرسته.

(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، ١٣٠٣/٢.

(٣) هدية العارفين، إسماعيل البغدادي، ٥٥/٦.

(٤) لسان الميزان، ٧٢/٥. ذيل تاريخ بغداد، ٢٤/٢.

(٥) الفهرست لابن النديم، بتحقيق: أيمن فؤاد سيدي، ٣/١.

ث-أهمية الفهرست:

يظلُّ كتاب "الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء ما صنفوه من الكتب" أقدم وثيقة تاريخية علمية شامِلة، يُبيّن لنا مدى ما وصلَت إليه الحياة العقلية الإسلامية في عصرٍ من أزهى عصور الحضارة، وهو عصر بني العباس، ويرصُد الحياة الفكرية والعلميَّة والثقافية للعرب وغيرهم منذ بدأ التدوين والتأليف إلى أواخر القرن الرابع الهجري، ولولاه لضاعتْ أسماء كثير من كتُب تراثنا وأوصافها كما ضاعت الكتب نفسها.

فهو بهذا كتاب جليل القدْر، وحيد في بابه، وأكثره شمولاً حيث استوعَب الكثير من العلوم الإسلامية، فضلاً عن الفنون، وكانت مِهنته عاملاً قويًّا أضاف للباحثين كثيرًا في عالَم التحقيق، بما ذكَره في الورق وأنواعه، والخطوط، والأقلام، والأوصاف المادية لكلِّ ذلك.

ونجمل أهمية الكتاب في النقاط الآتية:

-يعتبر وثيقة متميزة نتعرف من خلالها ملامح الازدهار الثقافي ولقاء الثقافات في إطار الحضارة العربية الإسلامية، والأحداث الاجتماعية والسياسيَّة التي أثّرت في العلماء وفي علومهم، مما يُفيد الباحث في معرفة الكثير عن نشأة العالِم وأقواله واعتقاداته.

-يعد هذا الكتاب مصدرا من المصادر التراثية التي لا يمكن الاستغناء عنها. وهو أقدم الكتب التي عنيت بفهرسة الكتب العربية والإسلامية ونسبتها لأصحابها، بسبب اتساع دائرة التأليف العربي مطلع القرن الثالث الهجري في شتى العلوم والفنون.

-تتجلى عبقرية الشيخ النديم في كتابه "الفهرست" بأنه وضع يده على أول عمل "ببليوغرافي" في اللغة العربية في وحدة موضوعية تتجلى في تقسيمه للكتاب، فكان أنموذجًا رائدًا للببليوغرافيين والباحثين في الرجوع إليه.

-هو مرآة للثقافة والفكر الإسلامي، وموسوعة ثقافية أو دائرة معارف كبرى.

-لكي لا يتبادر إلى الذهن أن "الفهرست" كان كما اعتقد بعض الباحثين مجرد فهرست لمكتبة عامة أو خاصة يحصي ويصنف، لابد أن نشير إلى أن المؤلف في بعض المواضع والموضوعات أسهب وحلل وأرخ بشكل أضفى على كتابه سمات استثنائية، إذ نرى أنه يتوقف ليورد مثلاً ما يعنونه "حكاية أخرى في أمرهم" ويروح سارداً تاريخ طائفة أو جماعة وتاريخ أفكارهم وكيف تكونت تلك الأفكار، إضافة إلا أنه يبدأ في طريق كلّ عِلم من جذوره، فيعرِض لكل فنّ، أو عِلم من العلوم يعرِّفه، ويذكُر نشأته، ومن ألّفوا فيه، وشيئًا من حياة المؤلِّف، وكُتبه...، وكل هذا مما يُثري الباحث، ويجعله على ثقل من العِلم والفن.

-من أهمية الكتاب البيبليوغرافية كذلك، أنه حصر لنا جميع الكتب المؤلفة والمترجمة من العجم إلى العربية وقدمها لنا في هذا الكتاب ذي القيمة الكبيرة، وهذا يذكرنا بما يصدر من ببليوغرافيات تجارية هذه الأيام والمنشورة خارج البلاد العربية لحصر كل ما يؤلف ويترجم إلى اللغة الإنكليزية مثلاً أو الفرنسية أو غيرها من اللغات، فكأن ابن النديم الببليوغرافي سبق علماء الببليوغرافية المعاصرين.

-يعد مرجعا هاما يمثل أساساً ومصدراً للترجمة المتخصصة للعلماء المسلمين وغيرهم من غير المسلمين .

-يدلل على أن العرب قد اهتموا في وقت مبكر بتسجيل كتبهم المؤلفة وتصنيفها تصنيفاً موضوعياً[١].

ج-منهج النديم في كتابه:

بعد أن بيّن النديم فِكرته في الفهرست أتبَع ذلك ببيان منهاجه في الكتاب؛ وكان ذلك في قائمة محتويات الكتاب في عشر مقالات، تختصُّ كل منها بموضوع معيِّن؛ فمقالة في لغات الأمم، وأخرى للنّحْويين واللغويين، وأخرى للشِّعر والشعراء، وأخرى للكلام والمتكلِّمين، وهكذا.

فكان الكتاب فيه عشر مقالات، وتحت كل مقالة تندرِج فنون، بلَغ عددها ثلاثة وثلاثين فنّا.

(١) ينظر: النديم وكتابه الفهرست، لعبد العزيز رجب/ والفهرست للنديم، لأحمد رشدي.

وطريقته أنه كان يعرِض لكل فنٍّ أو عِلم من العلوم، يعرِّفه، ويذكُر نشأته، ومن ألّفوا فيه، وشيئًا من حياة المؤلِّف، ويذكُر كتبه، ويصِف كل كتاب منها، ويقيّمه ويُعلِّق عليه، ولم يخضَع المؤلِّفون والمؤلّفات في كتابه إلى أي ترتيب هجائي أو زمني، وربما كان يَبتدئ بأشهر المؤلّفات(١).

وكان النظام العام مُتفاوِتًا في منهجه، ولم يكن على نمط واحد؛ فكان يُطيل في بعض التّراجم، ويختصِر في بعض التّراجم حتى لا تكاد تتجاوز بعض الأسطر القليلة، وقد لا تتجاوز الترجمة السطر، أو كلمات قليلة.

وفي بعض التّراجم يذكُر الاسم فقط أو الشهرة، ولم يذكُر تحته شيئًا قط، وقد لا يذكُر تاريخ الوفاة، وقد لا يذكر المولِد.

لقد سار النديم في تأليف كتبه على منهج موضوعي سبق فيه غيره من الباحثين في عصرنا الحالي ليصبح رائداً في التأليف الموسوعي الببليوغرافي لدى علماء المسلمين، وهو في أفكاره قد برهن على أن المسلمين الأوائل كانت لديهم أسس البحث العملي والتي من أهمها الأمانة والدقة والتثبيت في الأخبار والأحداث التي ينقلها لنا.

وقد قسم النديم كتابه إلى عشرة أقسام سمى كلاً منها مقالة، ثم قسم كل مقالة إلى فنون بلغ عددها اثنين وثلاثين فناً غطت مختلف العلوم والفنون بحيث يكون هذا الكتاب فهرساً يسجل الكتب التي ظهرت في جميع العلوم حتى عصره، هذا إضافة إلى أخبار مصنفيها وأنسابهم وتاريخ مواليدهم... فهي ببلوغرافية تاريخية تحليلية فضلاً عن أنها تعتمد تصنيفاً للعلوم، وهى:

المقالة الأولى: وهي ثلاثة فنون:

الفن الأول: في وصف لغات الأمم من العرب والعجم ونعوت أقلامها وأنواع خطوطها وأشكال كتاباتها.

الفن الثاني: في أسماء كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين ومذاهب أهلها.

---

(١) أدوات تحقيق النصوص، ص٥٣، ٥٤.

الفن الثالث: في نعت الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وأسماء الكتب المصنفة في علومه وأخبار القراء وأسماء رواتهم والشواذ من قراءتهم.

المقالة الثانية: وهي ثلاثة فنون، في النحويين واللغويين .

الفن الأول: في ابتداء النحو وأخبار النحويين البصريين وفصحاء الأعراب وأسماء كتبهم.

الفن الثاني: في أخبار النحويين واللغويين من الكوفيين وأسماء كتبهم.

الفن الثالث: في ذكر قوم من النحويين خلطوا المذهبين وأسماء كتبهم.

المقالة الثالثة: وهي ثلاثة فنون، في الأخبار والآداب والأنساب والسير.

الفن الأول: في أخبار الإخباريين والرواة والنسابين وأصحاب السير والأحداث وأسماء كتبهم.

الفن الثاني: في أخبار الملوك والكتاب والمترسلين وعمال الخراج وأصحاب الدواوين وأسماء كتبهم.

الفن الثالث: في أخبار الندماء والجلساء والمغنين والصفادية والصفاعنة والمضحكين وأسماء كتبهم.

المقالة الرابعة: وهي فنان، في الشعر والشعراء.

الفن الأول: في طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين ممن لحق الجاهلية وصناع دواوينهم وأسماء رواتهم.

الفن الثاني: في طبقات شعراء الإسلاميين وشعراء المحدثين إلى عصرنا هذا.

المقالة الخامسة: وهي خمسة فنون، في الكلام والمتكلمين.

الفن الأول: في ابتداء أمر الكلام والمتكلمين من المعتزلة والمرجئة وأسماء كتبهم.

الفن الثاني: في أخبار متكلمي الشيعة الإمامية والزيدية وغيرهم من الغلاة والإسماعيلية وأسماء كتبهم.

الفن الثالث: في أخبار متكلمي المُجْبِرة والحَشَويَّة وأسماء كتبهم.

الفن الرابع: في أخبار متكلمي الخوارج وأحنافهم وأسماء كتبهم.

الفن الخامس: في أخبار السياح والزّهاد والعباد والمتصوفة والمتكلمين على الوساوس والخطرات وأسماء كتبهم.

المقالة السادسة: وهي ثمانية فنون، في الفقه والفقهاء والمحدثين.

الفن الأول: في أخبار مالك وأصحابه وأسماء كتبهم.

الفن الثاني: في أخبار أبي حنيفة النعمان وأصحابه وأسماء كتبهم.

الفن الثالث: في أخبار الإمام الشافعي وأصحابه وأسماء كتبهم.

الفن الرابع: في أخبار داوود وأصحابه وأسماء كتبهم.

الفن الخامس: في أخبار فقهاء الشيعة وأسماء كتبهم.

الفن السادس: في أخبار فقهاء أصحاب الحديث والمحدثين وأسماء كتبهم.

الفن السابع: في أخبار أبي جعفر الطبري وأصحابه وأسماء كتبهم.

الفن الثامن: في أخبار فقهاء الشراة وأسماء كتبهم.

المقالة السابعة: ثلاثة فنون، في الفلسفة والعلوم القديمة.

الفن الأول: في أخبار الفلاسفة الطبيعيين والمنطقيين وأسماء كتبهم ونقولها وشروحها والموجود منها وما ذكر ولم يوجد وما وجد ثم عدم.

الفن الثاني: في أخبار أصحاب التعاليم والمهندسين والارثماطيقيين والموسيقيين والحساب والمنجمين وصناع الآلات وأصحاب الحيل والحركات.

الفن الثالث: في ابتداء الطب وأخبار المتطببين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم ونقولها وتفاسيرها.

المقالة الثامنة: وهي ثلاثة فنون، في الأسمار والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة.

الفن الأول: في أخبار المسامرين والمخرفين والمصورين وأسماء الكتب المصنفة في الأسمار والخرافات.

الفن الثاني: في أخبار المعزمين والمشعوذين والسحرة وأسماء كتبهم.

الفن الثالث: في الكتب المصنفة في معاني شتى لا يُعرف مصنفوها ومؤلفوها.

المقالة التاسعة: وهي فنان، في المذاهب والاعتقادات.

الفن الأول: في وصف مذاهب الحرانية الكلدانيين المعروفين في عصرنا بالصابئة ومذاهب التنويه من المنانية والديصانية والحرمية والمرقيونية والمزدكية وغيرهم وأسماء كتبهم.

الفن الثاني: في وصف المذاهب الغريبة الطريفة كمذاهب الهند والصين وغيرهم من أجناس الأمم.

المقالة العاشرة: تحتوي أخبار الكيميائيين والصنعويين من الفلاسفة القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم.

هذا هو التصنيف أو التقسيم للكتب التي جمعها ابن النديم وقسمها إلى مقالات والمقالات إلى فنون، وقدم لكل مقالة وفن مباحث مختصرة عن الموضوع الذي تعالجه المقالة أو الفن أحياناً وليس في كل المقالات.

وقد خصص لعلم الكلام مقالته الخامسة من الصفحة ٥٥٥ إلى ٦٥٤ من الجزء الأول من الطبعة التي حققها الدكتور أيمن فؤاد سيد. ولم يخصص للأشاعرة إلا صفحة واحدة ترجم فيها للإمام أبي الحسن الأشعري، وذكر من أصحابه ما أشار إليه بقوله: "ومن أصحابه-يقصد الأشعري- الدمياني وحمويه وهما من أهل سيراف، وكان يستعين بهما على المهاترة والمشاغبة. وقد كان فيهما علم على مذهبه. ولا كتاب لهما نعرف"(١).

ح-جهود النديم في فهرسته:

إن كتاب الفهرست يدل على جُهد كبير أخَذ أعواما عدة ليكون على صورته التي بين يدينا، بما يَحويه بين دفّتيه، ومن تلك الجهود الكثيرة تنوُّع الكتب بين يدي النديم، وإحاطة عِلمه بها، وما تَحويه من عِلم، إضافة إلى ذلك وصْفها الدقيق المادي والمعنوي، وما سمِع من شيوخ أكابِر في عصره؛ كالأصفهاني، والسيرافي، فإذا هو يُبوِّب ويفرِّع على هذا النحو الواسع الذي لخّصته المقالات العشر، وما تحتها من فنون، وهذا يدل على استقصاء جمْع، وكثرةِ نظَر وتقليب، واستحقّ أن يقول فيه

(١) الفهرست (تح: أيمن)، ٦٤٩/١.

ياقوت: "جدّد فيه واستوعَبه استيعابًا يدل على اطِّلاعه على فنون من العِلم، وتحقُّقه لجميع الكتب"(١).

كان النديم ورّاقًا، وأتاحت له مهنتُه أن يرى مُعظم الكتب التي ذكَرها، وأن يكون على معرفة تامّة بالإنتاج الفكري في عصره، وما كان من قبل من كتُب عربية كانت أو معرّبة؛ فقد أحصى النديم ٨٣٦٠ كتاباً لـ٢٢٣٨ مؤلفاً، منهم ٢٢ امرأة و٦٥ مترجماً. وفيه ترد أسماء ١٢ كتاباً في صناعة السلاح وتنظيم الجيوش، و٩ كتب في تركيب العطور، و١١ كتاباً في الطبخ، و١١ كتاباً في الصيدلة، و٦ في البيزرة والصيد، و٩ في البيطرة، وثلاث صفحات في الكتب المؤلفة في العشق والعشاق. ومعظمها لم يصلنا منه غير وصف النديم له. وذكر ابن النديم قرابة ٤٥ رياضياً أعجمياً ونحو ١٢٠ عالماً عربياً، وكل فصل من فصول هذه الأبواب يحتوي على سرد شامل وأمين لأسماء الكتب المؤلفة بالعربية أو المنقولة إليها في فن معين، مصحوبة بتراجم وافية لمؤلفي هذه الكتب ومترجميها، وكانت هذه الكتب والمؤلّفات في شتّى العلوم (٢).

خ-مصادر الفهرست:

نستطيع أن نقسم استمدادات النديم في فهرسته إلى مصادر متنوعة: أدبية، ومعلومات استمدها من خطوط العلماء، وما رآه بنفسه من كتب، وما أخبره به أقرانه ومعاصروه الثقات.

فقد أورد النديم عناوين الكتب التي اعتمد عليها في استشهاداته؛ حيث توحي صياغة بعض الاستشهادات بأنها روايات مباشرة، كما توحي أخرى أنها روايات غير مباشرة، كما استخدم في مؤلفه ذلك كلمات عامة مثل: "حكى"، أو "روى"، أو "ذكر"، أو "كذا ذكر"، أو "قال"، أو "قاله"، أو "وكان فلان يقول" ثم يأتي باسم مؤلف مصدره.

---

(١) معجم الأدباء، ١٧/١٨.

(٢) الفهرست لابن النديم: دراسة بيوجرافية بيلوجرافية ببلومترية وتحقيق ونشر، شعبان خليفة ووليد محمد العوزة، ٣٩/١.

وهذه المصادر منها ما أفاد منها في سائر كتابه، ومنها ما أفاد منها في فن معين من الفنون التي تطرق إليها في هذا الكتاب، وقد شملت شتى العلوم الشرعية والكيميائية والطب والشعر واللغة والفرق والأديان والتاريخ والأدب والفلسفة والعقيدة... وغيرها من المصادر النفيسة والفريدة والماتعة والمفيدة.

جمع معظمها الدكتور أيمن فؤاد في مقدمة تحقيقه للفهرس، من الصفحة ٤٣ إلى الصفحة ٦٥ من الجزء الأول.

د-اهتمام الباحثين المسلمين بالكتاب:

ظل الفهرست للنديم –رحمه الله– غير متداول بين العلماء حتى أعيد اكتشافه في الربع الأول من القرن السابع الهجري. وأول من نقله شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحَمَوي (ت٦٢٦هـ)–رحمه الله– في كتابه "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، ثم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القِفْطي (ت٦٤٦ه)–رحمه الله– في "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ومحب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود ابن النجار البغدادي (ت٦٤٣هـ)–رحمه الله– في "ذيل تاريخ بغداد" وغيرهم....

ثم حظي كتاب الفهرست بعناية الباحثين المعاصرين فصدرت عنه دراسات معتبرة مطولة. وقد تناول بعضها مختلف نواحي الكتاب، واقتصر بعضها على مناقشة ناحية أو أكثر.

فقد عرض إبراهيم الأبياري له ولمؤلفه باستفاضة، وكشف عن مركزه بين الباحثين المحدثين. وتحدث عبد الله مخلص عنه وعن مؤلفه وأشار إلى أنه صاحب فضل كبير على آداب اللغة العربية، وأنه "أول من دون أسماء المؤلفين والمؤلفات، وبذلك عـــبّد الطريق لمن جاء بعده منهم."(١).

وتحدث الدكتور عبد الستار الحلوجي عن النديم وكتابه الفهرست، فاستغرب من كون كتب التراجم التي فصّلت في تراجم رجال القرن الرابع واستوعبت تراجم البغداديين استيعابا شديدا لم تورد للنديم ذكرا، مثل صاحب "تاريخ بغداد" الذي توفي

(١) بعض صفحات من كتاب الفهرست، لغة العرب، عبد الله مخلص، ص٥٠٢-٥٠٦.

في سنة ٤٦٣ هـ بفاصل زمني بينه وبين النديم أقل من قرن، مع أنه من غير المشكوك في أنه قد سمع به وبكتابه(١).

وأشار عبد التواب شرف الدين إلى دقة النديم وحرصه على إيراد بيانات الكتب بعد الوقوف على هذه الكتب، وأنه برهن على أن المسلمين الأوائل كانت لديهم أسس البحث العلمي التي من أهمها الأمانة والدقة والتثبت مما ينقلون(٢).

وتحدث إبراهيم حمودة عن الكتاب ومؤلفه فرأى أن النديم يُعدّ الموثق والمنظّر الأول للثقافة العربية الإسلامية، والرائد في فهرستها وتصنيفها(٣).

يقول الدكتور أيمن فؤاد: "سيظل على الدوام المصدر الرئيس لمعرفة الفكر والأدب والعلم في القرون الأربعة الأولى للإسلام، وهو موضوع لم يتناوله غيره من العلماء المسلمين (٤).

ذ-اهتمام المستشرِقين بالفهرست:

يرجع اهتمام المستشرقين بالفهرست إلى القرن السابع عشر الميلادي، يقول يوهان فيك: "إن فليجل تمكّن بعد خمسة وعشرين عامًا من العمل المستمِر من نشْره، ويعظِّم فيك من قيمة الكتاب؛ إذ يعدُّه كتابًا في تاريخ الأدب العربي الذي لم يؤرِّخ له المسلمون والعرب إلا قليلاً، فعِنايتهم -وبخاصة الفقهاء- إنما كانت بالتّراجم والسّير، فهي مرتبِطة بالأشخاص وسِيرهم، وعلى مَن تعلّموا، ومن درَس عليهم، وعن رحلاتهم في طلَب العلم، ومن ثَمَّ لم يُكتَب عن تاريخ عِلم الحديث أو التشريع أو الشعراء أو الطب، وإنما جُمعت تَراجم عن رواة الحديث والفقهاء

(١) من تراثنا الببليوجرافي: النديم وكتابه الفهرس، عبد الستار الحلوجى، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٧ (١٩٧٧)، ص٤٦١-٤٧٨.

(٢) "روائع التراث الإسلامي: الفهرست لابن النديم"، عبد التواب شرف الدين، المجلة العربية للتوثيق والمعلومات، ٤ (مارس١٩٨٦م)- ص(٧٤-٨٦).

(٣) كتاب الفهرست للنديم، إبراهيم حمودة،- الناشر العربي، ٨- (فبراير ١٩٨٧ م)، ص ١٦٢-١٦٥.

(٤) الفهرست، تحقيق: أيمن فؤاد، ٣/١.

والشعراء والأطباء، أمّا الأعمال التي تختصُّ بالكتب مباشرة، فإن لها طبيعة موسوعيّة، مِثل: "الفهرست"؛ لابن النديم، و"كشْف الظُّنون"؛ لحاجي خليفة، ولا توجد كتب كثيرة تُشبِههما؛ إذ إن المعرفة كان يجب أن تؤخذ مشافهةً عن الشيوخ، ولم يكن الكتابُ إلا دعامة للذاكرة(١).

اهتم المستشرقون كثيرا بكتاب"الفهرست" للنديم، وللأسف كانوا أول من عرف هذا الكتاب ونشره في العصر الحديث.

كما تُرجم هذا الكتاب لعدة لغات: الترجمة الإنجليزية :قام بها المستشرق "بايرد دودجBayard Dodge "(١٨٨٨-١٩٧١م)، وأصدرتها جامعة كولومبيا – أمريكا سنة ١٩٧٠م. والترجمة الفارسية: قام بها رضا تجدد صدرت في طهران عن "جابخانه باركانى" سنة ١٣٣٣ ش/١٩٦٤م.

يعود الفضل الأول في إصدار هذه الجوهرة في التراث العربي ونشرها إلى المستشرق الألماني "غوستاف فلوجل Gustav Leberecht Flügel"(١٨٠٢-١٩٧٠) الذي عمل سنواتٍ طويلةً في البحث في المخطوطات للفهرس التي عثر عليها في مكتبات مختلفة في ألمانيا وفرنسا والنمسا. –فصدرت على جزأين الأول سنة ١٨٧١م والثاني سنة ١٨٨٢م، وأعادت مكتبة لبنان نشره سنة ١٩٦٤م.

ثم نُشر الكتاب بعد ذلك في طبعات وتحقيقات مختلفة وصلت إلى اثني عشر طبعة، آخرها بتحقيق: الدكتور أيمن فؤاد سيد، صدرت عن مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي– لندن ١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م.

وتؤكد لنا المستشرقة الألمانية "زيغريد هونكه" في كتابها "شمس العرب تَسْطَع على الغرب" أهمية "الفهرست" الذي ضم هذه المادة الفكرية والثقافية وصنفها وجعل من كتابه دعامة أساسية لفن المكتبات، كما ركز "فرانز روزنثال Franz Rosenthal" في كتابه "علم التأريخ عند المسلمين" على "الفهرست" وأورد نصوصاً كاملة منه.

(١) مقدمة تحقيق يوهان للفهرست، ص١٨.

ومن هذا نجد أن لهذا الكتاب قيمة علمية كبيرة عند المستشرقين وغيرهم حيث سجل لنا الحياة العلمية عند المسلمين في عصره ومن قبله تسجيلاً حصرياً، حيث إن معظم هذه الكتب عدت عليها عاديات الزمان من حروب وغيرها، فضاع وغرق وسرق قسم كبير منها ولم يبق إلا النذير القليل.

ر-تقييم الفهرست:

لقد كان الكتاب أول مؤلّف في بابه، ومِن أقدَم كتب التّراجم وأفضلها، فكان رائدًا في مجاله، إلا أنه لم يَسلَم من النقد الشديد من قِبل الباحثين المتخصِّصين؛ فلذلك كان هذا الفصل تقييمًا للكتاب في ذِكر إيجابيّاته وسلبياته.

-من إيجابياته:

-حرْص النديم على تحديد الكتب التي رآها بنفسه، والكتب التي سمع أو قرأ عنها، فأحيانًا يقول: وهذا الكتاب رأيته، أو: رأيتُ بعضه ولم أرَه كاملاً.

-ويذكُر كتبًا حدَّثه عنها الثقاتُ مع رؤيته لها، وهناك كتُب مفقودة يُنبِّه عليها.

- يُحدِّد لنا أحجام الكتب التي رآها، ويُعطينا أوصافها الدقيقة وملامحها البارزة.

-لا يكتفي بذكر عدد الأوراق، وإنّما يحدِّد لنا ما يَعنيه بالورقة ويصِف النّقط، والتشكيل، وتقييم الكتب، وتحديد أصيلها من منحولها... إضافة إلى إشارته إلى العلماء والوراقين الذين اشتهروا بجودة الخط، والذين اشتهروا بقبحه وغير ذلك.

-يعزو ما ينقله إلى مظانه في جل الأحوال.

- يستعمِل ما يُعرف الآن بالإحالات، فهو حين يذكُر شخصًا ما في موضعين من الكتاب يُشير في أحد الموضِعين إلى أن ذِكره قد ورَد في موضِع سابق أو لاحق، وحين يذكُر لمؤلِّف بعض كتبه في فنٍّ يُحيل إلى كتبه الأخرى في فن آخر، وإذا ذكَر شيئًا سابقًا يُشير إليه.

- لا يَنحاز لرأي على رأي بغير بيّنة أو دليل.

- يضبط الأعلام التي يُظن أن يحدُث فيها لبس، مثل: الكِسَائي، الأثْرَم، الجَرْمي.

- يزيل الإبهام عن بعض الألفاظ غير المفهومة.

-يؤرخ لكثير ممن رآهم بنفسه فهو شاهد إثبات على تلك الفترة المهمة.

- رغم المحاولات التي سبقت النديم لكنها لم تبلغ الشمول والاستيعاب الذي وصلت إليه فهرسته، مثل فهرست مؤلفات عالم الكيمياء جابر بن حيان (ت٢٠٠هـ/٨١٥م)، وفهرست أبو زكريا يحيى بن عدي بن حميد المنطقي (ت٣٦٣هـ/٩٧٤م) لكتب أرسطوطاليس، وغيرها من الفهارس.

-سلبياته:

-يذكُر أشخاصًا ليست لهم مؤلّفات على الإطلاق، مِثل ترجمته لبعض فصحاء العرب المشهورين الذين أخذ عنهم العلماء، ومنهم من لا مؤلّفات له، مثل أبي البيداء الرباحي، وأبي عرار العجلي، وأبي سوار الفنوي، وغيرهم.

-أحيانًا لا يذكُر أسماء الكتب، بل يكتفي بذِكر الموضوع، وأسماء المؤلِّفين فيه، ومعروف أن عُنوان الكتاب ركن أساس من أركان الوصف الببليوغرافي، لا يَستقيم هذا الوصف بدونه على الإطلاق.

- الاضطراب في ذكر بعض الأسماء عند الإحالة، وعدم تمييز قوله عن قول من ينقل عنه، وإكثاره من الاستشهادات الموغلة في الجهالة.

- يسهب أحيانا، ويحجم في مواضع أخرى، يترجم ترجمة واسعة لبعض المؤلفين، ويترجم لآخرين ترجمة موجزة جدا. بل أحيانا يذكر اسما ولا يترجم له، ولم يذكر كثيرا من تاريخ كبار المؤلفين ووفاتهم، مثل: البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل والأوزاعي وغيرهم.

-ترك كثيرا من الفراغات تشعر القارئ كما أنه أمام مسودة غير مكتملة، مما قد يكون فرصة للمتلاعبين للتلاعب بها والزيادة فيها.

- فاته الكثير من إنتاجات المؤلفين الذين عاشوا في الحقبة التي سجلها كتابه.

- أنه يتعرَّض لأشياء لا صِلة لها بموضوع الكتاب؛ كالحديث عن فضل القلم والخط، ومدْح الكلام العربي...[1].

- ذكر في ترجمته للإمام الشافعي شيئا مختلقا ظاهر الافتراء حيث قال: "وكان

(١) انظر: مقالة: من تراثنا الببليوجرافي: النديم وكتابه الفهرس، عبد الستار الحلوجى.

الشافعي شديدا في التشيع"[١]، وقال في الواقدي: "وكان يتشيع حسن المذهب يلزم التقية"[٢]، وقال في مصعب بن عبد الله الزبيري: "وكان أبوه عبد الله من أشرار الناس متحاملا على ولد علي عليه السلام"[٣]، كما أنه وثق بعض الكذابين، وتكلم في بعض الثقات...

ولكن رُغم ما تعرَّض له من نقْد؛ فإنه لا يُخرِج الكتاب عن فائدته العامة والخاصة، وكونه مصدرًا عامًّا في بابه، ورائدًا في مجاله، وأول مؤلّف في تاريخ التّراث العربي في مجاله.

رغم الدراسات الحديثة الأجنبية أو العربية التي اهتمت بكتاب "الفهرست" للنديم- رحمه الله- مثل: فليجل، وعبد الله مخلص، ومحمد يونس الحسينى، وإبراهيم الإبيارى، وعبد اللطيف العبد، والطاهر أحمد المكي، شعبان عبد العزيز خليفة، عبد الجبار ناجي، وجواد علي، وعبد الكريم الأمين، وأيمن فؤاد سيد، وعبد الوهاب أبو نور، وعبد الرحمن معلا، وعبد الستار الحَلْوَجي، وحمد جواد مشكور، وعبد التواب شرف الدين، وإبراهيم حمودة، وعبد الرحمن محمد العَيْقَان، وغيرهم... لكنه يحتاج لكثير من العمل والجهد لإخراج ما به من كنوز.

(١) الفهرست (تحقيق: أيمن)، ٣٨/٢.

(٢) نفسه، ٣٠٨/١.

(٣) نفسه، ٣٤٠/١.